المشرق

نظم حضرة الشاعر المجيد المتورفسقفوس جرجس شلحت السريانيّ الحلبيّ *

حُزْتِ يَا مَرْيَمُ مِلْءَ ٱلنِّعَمِ حِينَ تَصْوِيرِكِ ضِمْنَ ٱلرَّحِمِ
أَيُّ أُنْثَى وُلِدَتْ أَمْ ذَكَرٍ مِنْ بَنِي حَوَّاءَ أُمِّ ٱلْبَشَرِ
لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ بِٱلْمُسْتَأْسِرِ مَا خَلَا ٱلْعَذْرَاءَ ذَاتَ ٱلْعِظَمِ
وَٱبْنَهَا ٱلْمَوْلُودَ مُنْذُ ٱلْقِدَمِ (١
تِلْكَ خَوْدٌ إِذْ تَرَاءَتْ فِي ٱلرَّقِيمْ حَفَّهَا قَرْنٌ مِنَ ٱلشَّمْسِ بَدِيمْ

*) قد علّق حضرتهُ على هذه القصيدة تعليقات حسنة مع ذكر اقوال الآباء والبتوريجيات الشرقيّة التي بنى عليها كلّ دور وقد اضطرّنا ضيق المكان الى الضرب على اكثرها

١) راجع في مجلّة المشرق الغرّاء (٧: ٤٠٦-٤١١) هذا القول وما يليهِ في الحواشي من الاقوال واعلم اني اقتبستُ معظمها من مقالة الاب لويس شيخو اليسوعي المنونة « عقيدة الحبل بلا دنس في الكنائس الشرقيّة » ومن رسالة غبطة بطريركنا المفضال السيد افرام الرحماني المنشورة في ما نحن بصددهِ

وَعَلَا أَخْمَصَهَا ٱلْبَدْرُ ٱلرَّفِيعْ وبدا إِكْلِيلُهَا مِنْ أَنْجُمِ
فَوْقَ رَأْسٍ بِأَلِيهَا مُتَّسِمِ (١

حَوَتِ ٱلْحُسْنَ فَكَانَتْ دُونَ رَيْبْ ظَرْفَ ظَرْفٍ لَيْسَ فِيهَا نَقْصُ عَيْبْ
ذَاعَ ذَا مَا بَيْنَ أَنَامٍ كُلُّ صَوْبْ وَبِهِ قَالَ فُحُولُ ٱلْقَلَمِ
فِي نِظَامٍ أَوْ نِثَارِ ٱلْكَلِمِ (٢

فَإِذَا خَصَّصْتُ بِٱلذِّكْرِ ٱلسَّلَفْ مِنْ أُهَيْلِ ٱلشَّرْقِ أَصْحَابَ ٱلطَّرَفْ
جِئْتُ بِٱلْمُعْجِزِ يَبْقَى لِٱلْخَلَفْ فِي سَمَاءِ «ٱلْمَشْرِقِ» رَبِّ ٱلْحِكَمِ
شِبْهَ نَارٍ وُضِعَتْ فِي عَلَمِ

نَبَتَتْ عَوْسَجَةٌ مِنْ حَنَّةِ وَهِيَ شِيمَتْ قَبْلُ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ
تَتَلَظَّى كَأَجِيجِ ٱلشُّعْلَةِ بِذَكَاءٍ فَلَّ ذِهْنَ ٱلْفَهِمِ
دُونَ أَنْ تُحْرَقَ مِثْلَ ٱلْأَجَمِ (٣

وَغَدَتْ سُوسَنَةً بَيْنَ ٱلْقَتَادْ (٤ وَتَبَدَّتْ جِزَّةً فَوْقَ ٱلْهِمَادْ
وَٱلنَّدَى ٱلثَّاوِي بِهَا أَحْيَا ٱلْعِبَادْ وَشَفَى فِيهِمْ صَدَى كُلِّ ظَمِي
ذَاكَ طَلٌّ مُخْجِلٌ لِلدِّيَمِ (٥

فَهِيَ أَرْضُ ٱلْبِرِّ بَلْ حَقْلُ أَمَانْ قَدْ خَلَا مِنْ شَوْكِ إِثْمٍ وَزُؤَانْ

---

١) هذا نظم قول الرؤيا (١٢: ١): «ظهرت في السماء آيةٌ عظيمة امرأة ملتحفة بالشمس وتحت قدميها القمر وعلى رأسها اكليل من اثني عشر كوكبًا»

٢) طالع في المشرق (٧: ٤١٩-٤٢٣) نبذة للاب لويس شيخو موضوعها «العذراء مريم في الشعر العربي»

٣) اشارة الى عليقة موسى التي كانت تتوقّد بالنار وهي لا تحترق (خروج ٣: ١ و٢)

٤) راجع سفر نشيد الانشاد (٢: ٢)

٥) ورد ذكر جزّة جدعون المرموز بها من العذراء في سفر القضاة (٦: ٣٦-٤٠)

وَهْيَ دَوْحٌ عَطِرٌ رَوْحُ جَنَانْ غَرَسَتْهُ يَدُ بَارِي ٱلنَّسَمِ
فِي جِنَانِ ٱلرُّوحِ مَسْرَى ٱلنَّسَمِ
أَثْمَرَتْ فِي حِينِهِ نَسْلَ ٱلْخُلُودْ فَأَتَانَا حَسْبَ مُقْتَضَى ٱلْعُهُودْ
وَبِهِ فُزْنَا بِغَايَاتِ ٱلسُّعُودْ وَعَلَانَا عَلَمٌ لِلسَّلَمِ
وَٱلْهُدَى أَعْظَمْ بِهِ مِنْ عَلَمِ
عِنْدَ إِذْ شَاءَ ٱلْإِلٰهُ ٱلْمُرْتَجَى مَنْقَذًا لِلْخَلْقِ مِنْ لَيْلِ دَجَا
وَضَعَتْهُ مَرْيَمٌ أُمُّ ٱلنَّجَا فَأَضَاءَتْ شَمْسُهُ فِي ٱلْعَتَمِ
وَأَنَارَتْ عَقْلَ أُولِي ٱلسَّقَمِ

• •

هِيَ بِنْتُ ٱلْآبِ ذِي ٱلْعَرْشِ ٱلصَّمَدْ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ أُمٌّ لِلْوَلَدْ
حَلَّ فِيهَا آخِذًا مِنْهَا جَسَدْ مُذْ رَآهَا نُزِّهَتْ عَنْ وَصَمِ
كَمَلَاكٍ فِي صَفَاءِ ٱلشِّيَمِ
عَادَ إِبْلِيسُ لَدَيْهَا وَجِلَا جَلَّ رَبِّي مُجْتَبِيهَا وَعَلَا
مُنْذُ يَوْمٍ فِيهِ نَالَتْ حَبَلَا أَنَّهَا جَنَّةُ ذَاتُ ٱلْعَقَمِ
فَأَتَتْ طَاهِرَةً لَمْ تُضَمِ
هِيَ حِصْنٌ بَابُهُ قَدْ أُوصِدَا سَهْمُ إِبْلِيسَ حِذَاهُ صَرِدَا
وَلَهُ فِي ٱلْخُبْثِ زَنْدٌ صَلَدَا حِينَمَا حَاوَلَ هَتْكَ ٱلْحَرَمِ
فَأَتَى يَقْرَعُ سِنَّ ٱلنَّدَمِ
حَاوَلَ ٱلنَّشَّ فَخَابَتْ حِيلَتُهْ وَرَمَاهَا فَأُطِيشَتْ نَبْلَتُهْ
فَأَغْتَدَى يَعْدُو وَخَارَتْ حَوْلَتُهْ وَٱلْتَقَا مِنْ مَرْيَمٍ لَمْ يُهْضَمِ
مِثْلَ حَوَّا قَبْلَ خَطْبِ عَمَمِ

أُمُنَا حَوَّا أَجَلَّتْ شَرَكَهْ وَأَتَاحَتْ لِبَنِيهَا الْهُلَكَهْ
وَالْبَتُولُ الْأُمُّ تِلْكَ الْمَلِكَهْ سَحَقَتْ أَرْؤُسَهُ بِالْقَدَمِ
وَأَرَتْنَا سُمَّهُ فِي الدَّسَمِ
كَأَلِيفَانَا قُوَاهُ انْكَسَرَتْ مُذْ يَهُودِيتُ بِهِ قَدْ ظَفِرَتْ
فَانْبَرَتْ لَمَّا عَلَيْهِ انْتَصَرَتْ تَرْدِرِي فِي بَأْسِهَا كُلَّ كَمِي
مِنْ صَنَادِيدِ كُمَاةِ الْبُهَمِ
قَبْلَمَا هَامَانُ أَسْتِيرَ صُلِبْ بِدَبُورَا جَيْشُ يَابِينَ غُلِبْ
سِيسَرَا وَلَّى وَفِي الْهَامِ ضُرِبْ بِيَدَيْ يَاعِيلَ وَسْطَ الْخَيْمِ
يَا لَهَا مِنْ نَوْمَةٍ لَمْ تُنَمِ (١

إِنَّمَا الْإِثْمُ جَنَا طُوفَانَ نُوحْ وَبَكَتْ مَرْيَمُ لِلدِّينِ صُرُوحْ
بَيْنَمَا نَبْكِي شَقَانَا وَنَنُوحْ بَشَّرَتْ بِالصُّلْحِ كُلَّ الْأُمَمِ
تِلْكَ وَرْقَاءُ طُيُورِ النَّغَمِ (٢
ذَلِكَ التَّابُوتُ فِي عَهْدٍ مَضَى كَانَ رَمْزًا لِلْمَسِيحِ الْمُرْتَضَى
مُنْتَقًى مِنْ خَشَبٍ يَحْكِي الْغَضَا وَيَسُوعُ مُجْتَبًى مِنْ مَرْيَمِ
جِسْمُهُ الْأَنْقَى إِلَيْهَا يَنْتَمِي
هُوَ فِرْدَوْسٌ لِتِلْكَ الْجَنَّةِ مُخْجِلٌ إِذْ هِيَ مَأْوَى النِّقْمَةِ
وَهُوَ فِيهِ حَلَّ مَوْلَى النِّعْمَةِ رَبُّنَا الْقَادِرُ مُحْيِي الرِّمَمِ

١) إِنَّا نُلْقِي رَمْزًا الى مريم في دبورا وياعيل ويهوديت وأستير وغيرهنَّ من عقائل العهد العتيق كما أنَّا نُلْقِي رَمْزًا الى يسوع في اسحق ويوسف وموسى وداود وغيرهم من عظماء ذلك العهد

٢) راجع سفر التكوين ٨: ١١

مَصْدَرُ ٱلْجُودِ مَعِينُ ٱلْكَرَمِ

ذاكَ بَدْرٌ يَسْتَنِيرُ ٱلضَّمَفَا بِضِيَاءٍ رَاقَ مِنْهُ وَصَفَا
وَإِذَا ٱلشَّاعِرُ يَوْمًا وَصَفَا حُسْنَهُ أَصْفَى كَمَنْ فِي بَكَمِ
وَهُوَ نَسَّاجُ ٱلطِّرَازِ ٱلْمُعْلَمِ
أَيْنَ قَوْلِي مِنْ ثَنَاهُ يَا تُرَى وَلَقَدْ أَعْجَزَ لُسْنَ ٱلشُّعَرَا
فَهُوَ نَارٌ وَهُوَ نُورٌ بَهَرَا فَبِوَهْجٍ مِنْهُ كُلٌّ قَدْ حَمِي
وَعَلَى غَيْرِ ٱلثَّنَا لَمْ يَحُمِ
وَلِذَا بُؤْتُ بِتَقْصِيرِي أَقُولْ يَا إِلٰهِي كُنْ مُعِينِي وَٱلْبَتُولْ
فِي وُعُوثٍ وَحُزُونٍ وَسُهُولْ وَٱدْفَعَنْ عَنِّي دَوَاعِي ٱلنِّقَمِ
فِي ٱبْتِدَا ٱلْعُمْرِ وَفِي ٱلْمُخْتَتَمِ

مريم العذراء في الشعر العامي

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

قد كنا سابقًا في عدد المشرق الذي خصصناهُ ببوبيل الجبل بمريم العذراء البريّ من الحلينة الاصليَّة نشرنا بعض ما وقفنا عليه في دواوين الشعراء النصارى من الثناء على والدة الله. وكنَّا اشرنا آنئذٍ الى اقوال اخرى شاعت بين المسيحيين فتناقلوها وتغنَّوا بها وادخلوا بعضها في رتبهم الدينيَّة. وهذه الاقوال ليست في الغالب موزونةً على اعاريض الشعر العربيّ القديم الَّا انَّ لها ايضًا وزنًا ظاهرًا خاصًّا بها مع التقفية على طرائق معلومة تختلف اختلافًا عظيمًا كما ترى في الشعر المولَّد من الازجال والموشحات والاناشيد الغنائيَّة. فرأينا بنسبة عيد البتول الواقع في ٨ ك ١ ان نجمع من هذه الاقوال نبذًا تدلُّ على جودة قرائح مستنبطيها وهي مع ضعف تأليفها شعريَّة المعاني كثيرة التفنُّن في